

الكامل في التاريخ

تأليف

المؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد
أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف بابن الأثير
(٥٥٥ - ٦٢٠ هـ)

حَقَّقَهُ وَأَعْتَنَى بِهِ

الدكتور عمير عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية
عضو الهيئة العربية العليا لإعادة كتابة تاريخ الأمة
في اتحاد المؤرخين العرب

الجزء الثامن

ابتداء الدولة السجوقية والحروب الصليبية

من سنة ٤٢٢ - إلى سنة ٥٢٠ هـ

الناشر

دار الناشر العربي

MIDDLEBURY COLLEGE LIBRARY

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة أنطاكية

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج، واشتداد أمرهم، وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس، وقد تقدم ذكر ذلك.

ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها، وقد ذكرته أيضاً، وتطرقوا إلى أطراف إفريقية، فملكوا منها شيئاً وأخذ منهم، ثم ملكوا غيره على ما نراه.

فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام، وكان سبب خروجهم أن ملكهم بردويل جمع جمعاً كثيراً من الفرنج، وكان نسيب رُجار الفرنجي الذي ملك صقلية، فأرسل إلى رُجار يقول له: قد جمعتُ جمعاً كثيراً، وأنا واصل إليك، وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها، وأكون مجاوراً لك.

فجمع رُجار أصحابه، واستشارهم في ذلك، وقالوا: وحق الإنجيل هذا جيد لنا ولهم، وتصبح البلاد بلاد النصرانية. فرفع رجله وحبق حبة عظيمة^(١) وقال: وحق ديني، هذا خيرٌ من كلامكم! قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إذا وصلوا إليّ أحتاج إلى كلفة كثيرة، ومراكب تحملهم إلى إفريقية، وعساكر من عندي أيضاً، فإن فتحوا البلاد كانت لهم، وصارت المؤونة لهم من صقلية، وينقطع عني ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة، وإن لم يفلحوا رجعوا إلى بلادي، وتأذيتُ بهم، ويقول تميم غدرت بي، ونقضت عهدي، وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا؛ وبلاد إفريقية باقية لنا، متى وجدنا قوة أخذناها.

(١) في (ب): «قوة». وفي تاريخ الإسلام (٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٧ «فصرط صرطة»، والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٨/٢٤٩.

وأحضر رسوله، وقال له: إذا عزمتم على جهاد المسلمين، فأفضل ذلك^(١) فتح بيت المقدس، تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر، وأما إفريقية فبيني وبين أهلها أيمان وعهود. فتجهزوا، وخرجوا إلى الشام^(٢).

وقيل: إن أصحاب مصر من العلويين، لما رأوا قوة الدولة السلجوقية، وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم، ودخول أقيس^(٣) إلى مصر وحصرها، خافوا^(٤)، وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين، (والله أعلم)^(٥).

فلما عزم الفرنج على قصد الشام، ساروا إلى القسطنطينية ليعبروا المَجاز إلى بلاد المسلمين، ويسيروا في البر، فيكون أسهل عليهم، فلما وصلوا إليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده، وقال: لا أمكنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتى تحلفوا^(٦) لي أنكم تسلّمون إلي أنطاكية؛ وكان قصده [أن] يحثهم على الخروج إلى بلاد الإسلام، ظناً منه أنهم^(٧) أتراك لا يُقنون منهم أحداً، لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد.

فأجابوه إلى ذلك، وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين [وأربعمائة]، ووصلوا إلى بلاد قليج^(٨) أرسلان بن سليمان بن قُلمش، وهي قونية وغيرها، فلما وصلوا إليها لقيهم قليج^(٨) أرسلان في جموعه، ومنعهم، فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين [وأربعمائة]، واجتازوا في بلاده إلى بلاد ابن الأرمني. فسلكوها، وخرجوا إلى أنطاكية فحصرها^(٩).

ولما سمع صاحبها ياغي^(١٠) سيان بتوجههم إليها، خاف من النصاري الذين بها، فأخرج المسلمين من أهلها، ليس معهم غيرهم، وأمرهم بحفر الخندق، ثم أخرج من الغد النصاري لعمل الخندق أيضاً، ليس معهم مسلم، فعملوا فيه إلى العصر، فلما

(١) في (ب): «فانصد بذلك»

(٢) نهاية الأرب ٢٨/٢٥٠، تاريخ الإسلام (٤٩١ - ٥٠٠ هـ). ص ٧، ٨.

(٣) في تاريخ الإسلام «أتيز».

(٤) في الأوربية: «فخافوا».

(٥) من (ب)، وانظر: نهاية الأرب ٢٨/٢٤٩، ٢٥٠، وتاريخ الإسلام (٤٩١ - ٥٠٠ هـ). ص ٨.

(٦) في الأوربية: «تحلفون».

(٧) في الأوربية: «أن».

(٨) في طبعة صادر ٢٧٤/١٠ «قُلج».

(٩) ذيل تاريخ دمشق ١٣٤، نهاية الأرب ٢٨/٢٥١، تاريخ الإسلام (٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٨.

(١٠) في طبعة صادر ٢٧٤/١٠ «باغي»، والمثبت عن الباريسية، والمصادر.

أرادوا دخول البلد منع ومن الفرنج؛ فقالوا له وأقاموا في عسكر الف وجوده رأيه، وحزمه، بقوا على كثرتهم التي نصارى أنطاكية الذين أ

فلما طال مقام يُعرف برؤوبه، وبذلوا على شبك في الوادي الشبك ففتحوه ودخل خمسمائة ضربوا البوق فاستيقظ ياغي سيان، قد مُلكت؛ ولم يكن البلد، وخرج هارباً في عنه، فقبل إنه هرب، ساعة لهلكوا^(٤).

ثم إن الفرنج د- في جمادى الأولى.

وأما ياغي سيان نفسه وقد قطع عدة أنطاكية؛ فندم كيف

يتلهف، ويسترجع عما مَغشياً عليه، فلما سة

(١) في الأوربية: «تهبوه»

(٢) من (ب).

(٣) من (ب).

(٤) في (ب): «لم يملكه»

(٥) في (ب): «كالدهان»